انطلاقاً من هذه الفلسفة التطورية، الواقعية، البراغماتية، انبثقت نظرية بورس السيميوطيقية، التي يراها وجهاً آخر للمنطق في معناه العام.

1.3.1 ـ نظرية «بورس» والمجال البصري:

لن يتيسر في هذا المقام عرض نظرية بورس في كليتها باعتبار تشعبها، وكثرة تفاصيلها، غير أن العرض الذي نقترحه سيتوخى الوقوف عند بعض النماذج التطبيقية التي تمثلت النظرية وحاولت توظيفها لمعالجة الأنظمة التعبيرية المتصلة بالحقل البصري.

فالمعروف أن سيميوطيقا «بورس»، قدمت كنظرية عامة قابلة لتناول مجموع الأنظمة التعبيرية الممكنة، كما أنها قدمت في غياب نماذج تطبيقية أصلية يمكن الاستناد إليها، ومن هنا الصعوبة التي تعترض الباحث الطامح إلى استثمارها، والذي يجد نفسه أمام قراءات مختلفة ومتباينة للنظرية. وتبعاً لذلك أمام صيغ متعددة للتمثيل والتطبيق. غير أن ملمح العمومية المذكور هو الذي يمنح النظرية قوتها على خلاف ما كان عليه الأمر بالنسبة للطرح السوسيري المحدود في نظام تعبيري واحد هو النظام اللساني.

تعتبر سيميوطيقا «بورس» من هذا المنظور أنسب نموذج يرجع إليه للاشتغال على الخطابات البصرية حتى الآن. فلقد عملت الثورة التقنية في مجال تمثيل (Représentation) وإعادة إنتاج الواقع على قلب تاريخ التمثيل البصري التقليدي المسمى «أيقونياً» منذ مطلع القرن الحالي، فمن جهة سوف تحتكر الصورة الفوتوغرافية مجموعة من مجالات التعبير التي كانت من نصيب الفنون التشكيلية: من مثل رسم الطبيعة، والصور الشخصية (Portraits) إلى غير ذلك. ومن جهة ثانية سوف تعمل السينما على تطوير استعمال الطرق الفوتوغرافية وتقنياتها، وعلى الخصوص فيما يتعلق بتمثيل الوقائع والمشاهد المتحركة، مانحة بذلك مجالاً واسعاً ومفهوماً جديداً لحفل العرض (Spectacle) الذي كان حكراً على الفن المسرحي. ومن جهة ثالثة سوف يغزو الحاسوب الإليكتروني مجال البصريات بقدرته الفائقة على إنتاج معطيات بصرية متعددة تتراوح بين المعطيات الفنية الخالصة والبيانات البصرية الدقيقة لتحليل المعطيات، ومجال تصميم الأشكال المختلفة، للاستعمالات التقنية، في مجالات الرسم الصناعي، وفنون الديكور، والاتصالات السمعية البصرية.

خلاصة القول: إن مرجع الصورة أو الشكل في الوقت الراهن لم يعد مرجعاً تيولوجيا، بل صار مستقلاً وعاكساً بشكل متطور للصورة التي يصنعها الإنسان عن نفسه، من خلال إمكانيات إعادة الإنتاج الأيقوني للوقائع عبر الصورة الثابتة والسرد المصور، والأشكال البصرية المجردة.

طبيعي إذن أن تتعدد مجالات اشتغال السيميوطيقا في الحقل البصري ذاته، بحيث تتراوح بين دراسة المعطيات البصرية الثابتة، خصوصاً ذات السمة الأيقونية الخالصة، ودراسة